



عزى لرع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
www.almadasupplements.com

العدد (4937) السنة الثامنة عشرة الاربعاء (5) أيار 2021

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

منارات
manarat

ان تحيا حياة حقيقية
يعني ان ترفض الآخرين
« 2

تاريخ ويوتيبيا سيوران
« 3

“العبقري المجنون”
إميل سيوران.. قراءة
في أهم أعماله
« 4

إميل سيوران يسجل
لقاءاته مع صامويل بيكيت
« 6

إميل سيوران

فيلسوف الرفض

إن تحيا حياة حقيقية ، يعني أن ترفض الآخرين

علي حسين



اعترف انه جاء الى الدنيا بسبب غلطة ارتكبتها قسيس مزمعت تزوج من امرأة كنيسية وحزينة . في واحدة من رسائله يكتب : " كثير ما افكر بامي ، وعلى وجه الخصوص ، بسوداويتها التي اورثتني سمها والميل اليها " ، ستموت هذه الام بمرض القلب بعد أن قرأت كتاب ابنها الاول " على نرى اليأس " وكانت متحمسة له ، وقد توقع انه سيموت مثلها بنوبة قلبية في سن الشباب ، لكنه سيعيش حتى الرابعة والثمانين عاما ، مات في يوم ٢٠ حزيران عام ١٩٩٥ ، وكانت يسخر من ان تكون الحياة التي يعتبرها تجربة مريرة وفاشلة تمتد به كل هذه السنين ، وخلال سنواته الطويلة في الحياة حاول الاحتفاظ بقطعة السواد التي زرعتها فيه الحياة كما يقول ، وتعلم من شوبنهاور أن الانسان لا يولد عديميا وانما يصبح كذلك ، حيث تبدو الحياة هشة وعقيمة . واذ كان معلمه شوبنهاور قد منح التشاؤم صورة مفزعة يكتب وهو في الثمانين ، انه مارس الكتابة لكي يتفادى الانتحار : " أكتب لأتفادي نوبة اليأس ، الكتابة انتحار مؤجل " ، ويضيف ان فكرة الانتحار هي وحدها تجعل الحياة محتملة ، " يتذكر عندما كان في الثانية والعشرين حيث راودته فكرة الانتحار ، بعد ان فشل في الحصول على عمل " كنت حائزا الشهادات العليا التي تخولني ان اكون استاذاً للفلسفة في جامعة بوخارست . لكن كيف لإنسان متعب أن يستطيع مواجهة طلاب صف الفلسفة . وهكذا يمكنني القول إن ليالي البيض في سييوس كانت محور كل افكاري اللاحقة وكل التوجهات التي سأعطيها حياتي " . ظل العالم بالنسبة اليه سجننا كبيرا ، وضرب من ضروب الاشغال الشاقة ، وعلن في معظم كتبه ان الجنس البشري يمضي في طريق مسدود : " انني مؤمن بالكارثة النهائية التي ستحل بعد وقت . لست ادري اي شكل ستتخذ ، لكني على يقين بأنه يتعدت تجنبها " .

عاش الغربية في أعماقه ورفض ان ينتمي إلى أي أرض : " أشعر أنني منفصل عن كل البلدان وعن كل المجموعات . أنا متشرد مبتافين يقي . أشبه قليلا أولئك الرواقيين في نهاية الامبراطورية الرومانية والذين كانوا يشعرون بأنهم مواطنو العالم ، الأمر الذي يعني أنهم مواطنو الامكان " .

كان ينظر الى الحياة على مدى عقود عمره الثمانية ، بوصفها تأجلا للانتحار ، " كنت دائما أو أجد انتحاري ، لقد استثمرت هذه الفكرة ، عشت كمتطفل عليها ولكن في نفس الوقت كان الإقبال على الوجود لدي قويا جدا " ، ليموت في النهاية موة طبيعية عام ١٩٩٥ .

ولد أميل ميشال سيوران في الثامن من نيسان عام ١٩١١ في قرية من قرى رومانيا ، وعرف منذ طفولته بحبه للزلة والتنزه في الجبال المحيطة بقرية ، وصف سنوات حياته الاولى بأنها كانت رائعة ، في تلك السنوات يتخذ من المقبرة القريبة من منزلهم مكانا للعب ، يبحث عن الهياكل العظمية التي يغطيها التراب ، حتى ان امه قالت ان ابنها أصبح مهوسا بالبحث ، وسيؤكد انه ظل مهوسا بظاهرة الموت : " ليس الهوس بالموت ما يجعلك تكتشف بأن الحياة غير حقيقية ، بل حين تكتشف بأن الحياة بلا جوهر ، وبأنها لا شيء على الإطلاق ، مجرد وهم ، فأن الهوس بالموت يتعمق " . قال ان قلبه تحطم في سن العاشرة حين هجرت عائلته القريبة التي ولد فيها ، فقد احسن ان العالم يريد له ان يحرم من فردوسه : " عشت لحظة اقتلاع جذور " ، في المدينة الجديدة والتي اصبح فيها والده رئيسا للكنيسة ، سيتمكن من اكمال دراسته الثانوية ، بعدها سيدهب الى العاصمة بوخارست لاكمال دراسته الجامعية حيث يدرس الفلسفة ، في بوخارست سيتفرغ للقراءة ومطاردة النساء " في سني شبابي الاولى ، لم تستهويني سوى المكتبات وبيوت الهوى في الجامعة يقرأ شوبنهاور ونيتشة ، وسيحظى

شوبنهاور باعجاب ، فعن طريقه يتعرف على البوذية ، يكتب في يومياته : " ليس لدي ما يكفي من الكلمات للدفاع عن معلمنا الكبير - يقصد شوبنهاور - الذي قاطعه قطع الطوبوايين ناهيك عن قطع الفلاسفة " .

وسيجد ان نيتشة لم يكن فيلسوفا وانما كاتباً عظيماً ، صاحب اسلوب متفرد ، وبعد سنوات سيصف نيتشة بأنه كما لو كان شخصية من شخصيات تشيخوف " انسان جدير بالشفقة " .

إضافة الى شوبنهاور ونيتشة تعرف سيوران على اعمال الشاعر الفرنسي لوتريامون الذي تعرض في حياته القصيرة إلى التجاهل ، والبعض كان يصفه بالمجنون ، وسيلعب أرثر رامبو الدور نفسه الذي لعبه لوتريامون في حياة سيوران ، ولعل من الغريب إن هذين الشعارين ختما تجربتهما الشعرية وهما في العشرين من العمر ، توفي رامبو وهو السابعة والثلاثين من عمره وكان خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته توقف عن كتابة الشعر ، فيما توفي لوتريامون في الرابعة والعشرين من عمره . وكان سيوران يتوقع ان حياته ستنتهي في الثلاثين من عمره .

في الجامعة يصاب بحالات من الأرق التي ستصاحبه حتى اليوم الاخير من حياته ، وبسبب الأرق يتوقف عن دراسة الفلسفة بعد ان حصل على شهادة الدبلوم في رسالة عن فلسفة برغسون : " أدركت في لحظة يأس شديد بأن الفلسفة لا تقدم العون مطلقا ، وأنها قطعاً لا تنطوي على أجوبة " ، يوظف معاناة الأرق في مشروعه الكتابي : " كان الأرق التجربة الأساسية في حياتي ، وهناك أيضا حقيقة أنك وحيد مع نفسك . في منتصف الليل ، الجميع نائمون وأنت الشخص الوحيد الذي ما انفك يقظا . في هذه الحال ، أنا لست جزءاً من المجتمع البشري ، وإنما أنتمى إلى عالم آخر . وهذا يستلزم إرادة خارقة لتجنب السقوط " .

عام ١٩٣٤ يحصل على منحة دراسية في ألمانيا لاعداد أطروحة في الفلسفة ، لكنه لم يفعل شيئا ، وقد وصف السنة التي قضاه في برلين بأنها سنة عقيمة ، انتهت بقراره السفر الى باريس التي راقت له ، يحصل على منحة من المعهد الفرنسي في بوخارست للدراسة حيث

التحق بجامعة السوربون لدراسة اللغة الإنكليزية عام ١٩٤٦ يقرر الإقامة بشكل نهائي في باريس والكتابة باللغة الفرنسية ، لينشر عام ١٩٤٩ ، اول كتبه بالفرنسية بعنوان " موجز التفكيك " ، الذي وضعه في مصاف الكتاب الكبار ، وسيفرأ البير كامو الكتاب مخطوطا لدى دار غاليمار فيوجه التهنة لسيوران مع نصيحة ازعجه : " الآن عليك ان تدخل حركة الافكار " ، الامر الذي ازعج سيوران ، فهو يرفض النصائح والدروس : " كانت تلك الهانة بالغة لي ، كما لو كنت فقيرا مبتدئا وصل لتوه من الريف " .

في باريس يتفرغ للكتابة ، اثني عشر ساعة يوميا يجلس في مقهى الفلور ، كان ينجز كتاب المهزومين ، وعلى بعد خطوات منه يجلس جان بول سارتر يضع اللمسات الأخيرة على كتابه " الوجود والعدم " : لا ادري اية صدفة كانت تجعلني كل يوم تقريبا اجلس الى جانب سارتر ، لكنني لم ارجب ابدأ في ان اتبادل معه اقل حديث " ، كان سارتر اذذاك يتخلص شيئا فشيئا من سوداويته ، ليدخل في مجال الفعل الثقافي والسياسي ، فيما كان سيوران يعلن تخليه عن اي التزام اجتماعي ليدخل في متاهات العزلة او كما اطلق على نفسه وصف : " رجل هامشي ومنبوذ . فرد لا تربطه اية صلة ببني جنسه " .

في العام ١٩٣١ القي مارتن هايدغر محاضرة بعنوان " ما الميتافيزيقيا ؟ " وقد ترجمت الى الفرنسية ، وعلى الرغم من ان سيوران كان قد اطلع على كتابات هايدغر عندما كان في رومانيا ، إلا ان هذه المحاضرة قامت فيما بعد بتشكيل افكاره حول رسالة الكاتب في الحياة .

كان من بين الموضوعات التي طرحها هايدغر في " ما الميتافيزيقيا ؟ " موضوع "العدم" او اللاشيء ، وهو التعبير الذي اراد من خلاله هايدغر ان يكشف عن التعسف الكامل لوجودنا في العالم ، اي وجودنا ليس ذاتي الإرادة بل هو نتيجة لا اساس لها من احداث وظروف تسبق وجودنا وتخرج عن سيطرتنا ، يقول هايدغر : " إن جوهر اللاشيء المؤدي الى العدم أصلا يكمن في هذا ، اي انه يأتي بالحضور اول مرة امام الكائنات بهذه الصفة .. وكلمة الحضور تعني كون المرء

حاضرا اللاشيء " .

تتوالى اعمال سيوران ، وتتوسع معها قاعدة قراء كتبه ، لكن الشهرة تأتي متأخرة ، حيث عاش أكثر من ثلاثين عاما في باريس فقيرا ، ومغمورا ، قبل ان يصبح واحدا من أشهر كتابها ، نظر الى الشهرة باعتبارها حالة من اللامبالاة : " كان لا بد دائما أن أكون إما كئيبا أو غاضبا ، حانقا أو شاعرا بالقرف ، ولكن ليس في حالة عادية . ومن الأفضل أن أكتب وأنا نصف كئيبي . لا بد أن تكون هناك أشياء ليست على ما يرام . لأنني أعتقد أنه عندما يكون الإنسان متوازنا لا حاجة لأن يكتب؟ لماذا يصرح؟ وأيضا ربما كما قالوا ثمة إلى حد ما وجه مرضي لما أكتب ، وهذا صحيح ، لقد لاحظت بأن من يستقبلون كتاباتي هم على أحسن وجه المختلون ، أنصاف المجانين ، العاطفيون " .

في معظم كتاباته نجد السخرية من الأشياء ، فالحياة محكومة بالبعث ، ومع بعض الامل المستحيل من الشعور بالبعث . وقد توصل الى اسلوب خاص انتقل به من البحث المسهب الى العبارة الموجزة المكثفة : " الشذرة وهي الشكل الوحيد الملائم لمزاجي ، تمثل كبرياء لحظة محولة مع كل التناقضات التي تحتويها . إن عملا ذا نفس طويل ، وخاضعا لمتطلبات البناء ومزيفا بهاجس التتابع ، هو عمل من الإفراط في التماسك بحيث لا يمكن أن يكون حقيقيا " .

لم يشعر سيوران يوما ما انه فيلسوف رغم اصرار صديقه صامويل بيكت على اطلاق لقب " فيلسوف العدم " عليه ، وظل يؤمن ان الكتب التي تستحق الكتابة تلك التي تكتب دون ان يفكر اصحابها في القراء ، ومن دون ان يفكروا بآية جدوى او مردود مالي او معنوي ، والفلسفة بالنسبة له تكمن في طريقة عيشه للحياة .

في كتابه " مثالب الولادة " الصادر عام ١٩٧٣ - ترجمه الى العربية آدم فتحي - يعود سيوران الى معلمه لوتريامون حيث يشير الى مازق الانسان في الوجود والذي يكمن في ولادته : " ليس من برهان على ما بلغته البشرية من تفهقر أفضل من استحالة أن نعثر على شعب واحد ، أو قبيلة واحدة ، ما زالت الولادة قادرة على أن تثير فيها الحداد والمناحات . ، فما بين الولادة ، والموت ، نعيش المأزق الحقيقي ، ومن اجل تجاوزه علينا ان نتمرد مرة او مرات ، والاهم ان نتمرد على انفسنا .

يخبرنا سيوران عن الغاية من كتابة " مثالب الولادة " ، بأنه دخل يوما على أمه وارتمى على الأريكة وهو يصرخ " لم أعد أحتلم هذه الحياة " ، فردت عليه : " لو كنت علمت ذلك لأجهضتك ، هذه العبارة سنلهمه فيما بعد فكرة مثالب الولادة التي اراد من خلاله ان يقول لنا انه ابن الصدفة : " ما دمت استطيع التملص من النظام عبر تغليب الصدفة فان حياتي كانت زائدة عن النظام ، إذن هي لا تمت الى النظام بل الى الحرية " .

في " مثالب الولادة " يقبل سيوران الأسئلة المصيرية ، فقبل الحديث عن الموت وعن هاجس الموت ، يطرح سيوران سؤالاً أكثر جذرية من سابقه ، وهو لماذا الولادة أصلا ، فالكارثة أو النكبة بالنسبة الى الانسان ليست في الموت ، وإنما هي الولادة . ولا شيء غير الولادة : " كابوس الولادة حين ينقلنا إلى ما قبل ماضينا ، يجعلنا نقفد الرغبة في المستقبل والحاضر والماضي أيضا . بمجرد التفكير في أن لا أكون ولدت ، أي سعادة! أي حرية! أي مدى " .

ثمة قرابة خفية يمكن الشعور بها عند المقارنة ، بين هذه الشذرات ، التي تتخذ من مثالب أو مساوئ الولادة موضوعا لها ، وبين ما كتبه نيتشة في هكذا تكلم زرادشت ، فسيوران مثل نيتشة يؤمن بان الطريق امام الانسان مسدود : " انني مؤمن بالكارثة النهائية التي ستحل بعد وقت . لست ادري اي شكل ستتخذ لكنني على يقين بأنه يتعدت تجنبها " . وهو مثل نيتشة لا يكتب من اجل معاصريه ، وإنما من اجل الجنس الجديد الذي سيولد من البشرية : " ان ما يقار حولي من ضجيج يزعجني ويخيب املي . كنت اعلم ان ذلك سيكون حتميا ذات يوم ، لكن كبريائي كان يصور لي انه سيأتي بعد الكارثة المستقبلية . كانت تصوراتي تتوجه للناجين وليس للمحتضرين " .

تاريخ ويوتيبيا سيوران

علاء الدين محمود

نقاش يقود إلى المزيد، وأسئلة تفتح مزيداً من العصف الجنون الذي يلامس كنه الأشياء، لا غرابة لأشياء التي تدهشنا نحن، فهي ذات أصل في دواخلنا، تصبح معها الدهشة كأنها منزوعة المنطق، أو مصطنعة نوع ما، هذا ما يفعله الفيلسوف الروماني إميل سيوران، الذي يثير الكثير من القضايا، لا يسعى لإيجاد نهاية أو حلول بقدر ما أن الهدف هو هذا العصف نفسه والعرض الذي يشمل كل شيء، ليضعك أمام عوالم من المفارقات، أو ما يسمى بطرح الشيء ونقيضه، هذا ما فعله في مؤلفه «غواية الوجود»، أو في «مثالب الولادة»، بل نلمح ونرى في كل مؤلفاته تفكيراً فلسفياً جهة الوجود لا يسعى إلى نظرية، أو فكرة محددة، لكنه يجعل الإنسان في مواجهة قضايا الوجود، وخلف اللغة الشعرية تكمن عاصفة من الأسئلة، وطرح مختلف لقضايا الفلسفة، لذلك تبدو لغموضها وكأنها نصوص متغلقة، لكن يبدو أن معاشرة هذه الكلمات لسيوران ستقود لا محالة إلى فتح تلك المغاليق نحو الانتفاخ على المعاني الراهنة، وفي حالة انفتاح النصوص السيورانية، سنكتشف أننا قد وضعنا يدنا على مفتاح جيد لفهم القضايا المعاصرة.

يرتدي سيوران إميل (1911 - 1995)، في هذا المؤلف «تاريخ ويوتيبيا»، الذي قام بترجمته آدم فتحي، ثوب الشاعر والفيلسوف والباحث في أعماق التاريخ، ليأتي الكتاب أكثر نضجاً، غير أن الغموض الذي يلف كثيرا من نصوص سيوران له ما يبرره جهة النشأة والظروف المحيطة في زمان الشموليات، ولأن النقاد قد درجوا على أخذ الجملة الأخيرة من كل كتاب، أو على تصيد ما يظنونه نقاط ضعف في النظم الفلسفية، فقد سارعوا إلى وصفه بفيلسوف العدم، دون النظر إلى ذلك المرحوم الذي شكل نوعاً معيناً للكتابة، ودون الانتباه إلى السياق الذي جاءت فيه نصوص سيوران عقب البني والأشكال التقليدية للفكر الغربي، لقد كان انقصاماً كبيراً مع السرديات والمحكيات الكبرى، ليفتح الطريق أمام فلسفة أخذت ذلك الطابع وتعود في تأثيرها في غالبها إلى نصوص الفيلسوف الكبير فريدريك نيتشه، وهذا الأثر يتجذر عميقاً في نصوص سيوران وكثير من الفلاسفة المعاصرين، هذا ما سنلمحه في «رسالة إلى صديق بعيد»، وهو عنوان الفصل الأول من الكتاب، غير أن الأساليب التعبيرية تأخذ منحاً آخر عند سيوران عندما يطلق العنان للتكثيف الفلسفي الشعري، في كتاباته فهو يحدث من أوجه بين الفلسفة والشعر، لتكون النتيجة نصوصاً مختلفة، ممتعة وغامضة وساخرة وحزينة وربما كذلك متشائمة، فسيوران يمارس قدراً كبيراً من السخرية، من كل شيء، وعلى وجه الخصوص من فكرة الحياة، من أوجاعها وعبثيتها وبالتالي من فكرة الموت، لقد عاش بائساً وللمفارقة مات كبيراً في السن، وكان الحياة تقول له: «أنا ثمرة كبيرة ومرة، ليس عليك فقط أن تتذوقني، لا بل أن تأكلني بالكامل»، ولكأنها تمارس انتقاماً ملعوناً من تلك السخرية وذلك الذم الذي مارسه حيالها سيوران، ولئن كشفت لنا هذه النصوص الموجعة والمؤجلة في كتاباته عن شاعر وفيلسوف فالذي لم ننتبه إليه هو ذلك الروائي العظيم الخارق لعادات السرد، أو فلنقل هو مبدع جنس جديد يجمع بين كل ذلك، متحرراً من أثقال التصنيف، لنشابه ذلك موقفه في الحياة ومنها، تلك الرافض لكل سلطة، لينتقل هذا الجنس الإبداعي الأدبي كالعدي نحو نصوص فلاسفة ومفكرين تأثروا بهذه الأسلوبية البديعة، وذلك ليس غريباً على سيوران الذي طالما صرح بتفضيله أن يكون مؤلف أوبريت على أن يكون صاحب مؤلفات في لغة غير مفهومة، في إشارة لحبه للموسيقى والشعر، وربما أن هذه الأسلوبية التي يكتب بها تعني أن سيوران قد حسم أمره، لتأتي هذه الأسلوبية الموظفة في نصوصه الفلسفية، وهو لا يكتفي بذلك بل يصب جام غضبه على التصنيفات ليحكم بوهن كل النظريات الخاصة بالأجناس الأدبية، لذلك فهو يتحرر منها.

في مقدمة النسخة العربية للكتاب نقف أمام كلمات بانخات اقتفت آثار المفكر الفيلسوف الأديب، الذي عاش فرنسياً وتحدثت باللغة الفرنسية وكتب بها، ذلك العابر للهويات

والمثير لأسئلتها، والناشد لهوية إنسانية واحدة، لتنبهنا إلى تلك اللحظة الفريدة في نصوص سيوران، باعتبارها حدثاً مختلفاً في تاريخ الأدب الفرنسي، وصولاً إلى اعتبار «تاريخ ويوتيبيا»، حدثاً داخل حدث، إذ إنه الكتاب الذي يجنح بعيداً، يلحق ليصبح راهناً اليوم، إذ إنه يحمل فكر ما بعد الوفاة، بحسب تعبير نيتشه، لقد جاء ليملاً الفراغ الناتج عن الموت البيولوجي للمؤلف، وصمته الإبداعي، وهذه هي نفسها القيمة التي جعلت نيتشه راهناً ومعاصراً جداً، فهي نصوص لا تتوفر عند كل فيلسوف ومفكر، تلك التي تفصح عن نفسها على الدوام، لتعلن حياة المؤلف في كل مرة، هو حي لكوننا نتعاشق مع نصوصه الحية، تلك التي تثير ذات الإشكالات، لا تدعي أنها تحمل حلولاً، لكنها تترض على التفكير على نحو حيوي، وكان روح المؤلف قد انتقلت لتجول كشبح بين نصوص كتاباته، لتشكل معينا في استكشاف مناهات الحياة.

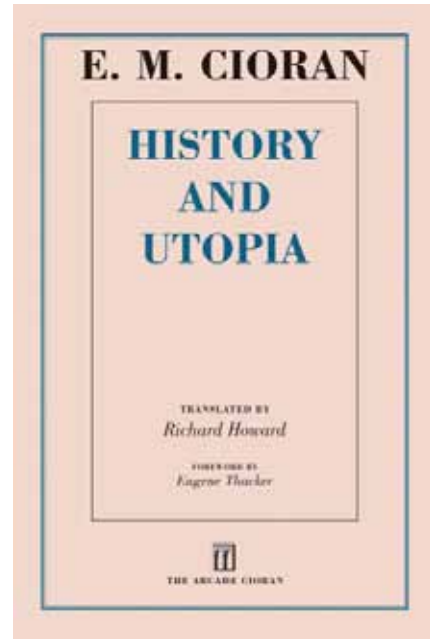
الكتاب يضعنا بشكل مباشر أمام قضايا عصرنا، يثير ذات الأسئلة التي تحتشد بها بطون المؤلفات المعاصرة، وربما ذلك ما دفع مقدم النسخة العربية إلى ذكر أن «تاريخ ويوتيبيا»، أكبر كتب سيوران نظاماً ونسقية في بنيته الفكرية والأسلوبية، يناقش القضايا غير المحسومة، وهي القضايا الراهنة جداً هي قضايا علاقتنا مع التاريخ، تاريخنا، في تبلوره وسيره جنباً إلى جنب مع اليوتوبيا، أي أحلامنا وكوابيسنا معاً، التي ما استطعنا بعد رؤيتها بشيء من التروي والنضج في الفكر والقول والعمل على حد سواء، ويحرض كاتب المقدمة على ضرورة أخذ الكتاب بقوة، وقراءته بالطريقة المنهجية التي يستحق، فالمقدمة هنا تشير إلى مسألة في غاية الأهمية وهي التححر الذي يجعله سيوران كونه ليس أكاديمياً متغلغلاً، بل إن أهميته واختلافه يكمنان في هذا الانفلات الواعي على المستوى الأسلوبي، إذ إن أسلوبه ليس أكاديمياً أو جامعياً، فهو يرفض الخضوع للمصطلحات والأنساق الفلسفية والفكرية والعملية السائدة، هنا نلمح ذلك التححر العظيم من تلك الأثقال الأكاديمية، من تلك الحمولات التي قد تقسم ظهر النص، فليس هناك أنقل من التقاليد.

ينقسم الكتاب إلى ستة نصوص هي «في صنفين من المجتمعات رسالة إلى صديق بعيد»، «روسيا أو فايروس الحرية»، «في مدرسة الطغاة»، «أوديسا الضغينة»، «ميكانيزمات اليوتوبيا»، و«العصر الذهبي»، وفي نص «رسالة إلى صديق بعيد»، نتعرف إلى مزيد من المفاهيم والأسئلة المورقة للكاتب، في نصوص رسالة وجهها إلى الفيلسوف الروماني كونستنتين نويكا، والذي تعرض للسجن إبان فترة حكم النظام الشيوعي.

في النص المعنون بـ«روسيا و فايروس الحرية»، يقدم لنا

الكتاب التجربة الروسية، مستوحياً منها مفهوماً للحرية يرى فيها أن الحرية تحتاج إلى فراغ كي تظهر، ويرى أن مطامع روسيا في الانتقال إلى الهيمنة الواضحة ليست مبنية على فراغ، فهي قد ظلت خارج التاريخ طوال قرنين، ولو أتبع لها أن تتطور من دون معوقات لأمكن لها أن تصبح قوى عظمى، فهي سعت أن تثبت ذاتها منذ تبنيها للأرثوذكسية، وأن الماركسية سعت إلى إبعادها عن وعيها بجنورها، وبينما كانت الشعوب الغربية تنهك نفسها في صراعها من أجل الحرية، كان الشعب الروسي يتألم دون أن يجهد نفسه، ويخلص إلى أن الجذور الروسية ستقود الشعب الروسي نحو الخلاص، فقط عليها في سبيل الحرية أن تفقد حيويتها وتنسلخ من قوميتها في العمق لكي تتأقلم مع الحرية.

يقودنا الكتاب في نص «مدرسة الطغاة»، إلى شرح تلك العلاقة الغريبة بين الشعب وجالده، فالطاغية يصنع من خلال الرضوخ الذي يمارسه الشعب ودوره في صناعة الإمبراطوريات والديكتاتوريات، فالشعب يمتلك علامة عبودية بداخله، تستجيب للهيمنة ولرغبات الطغاة، وكذلك السيد أو الطاغية من ناحيته فهو مولع بالعفونة والجيف،



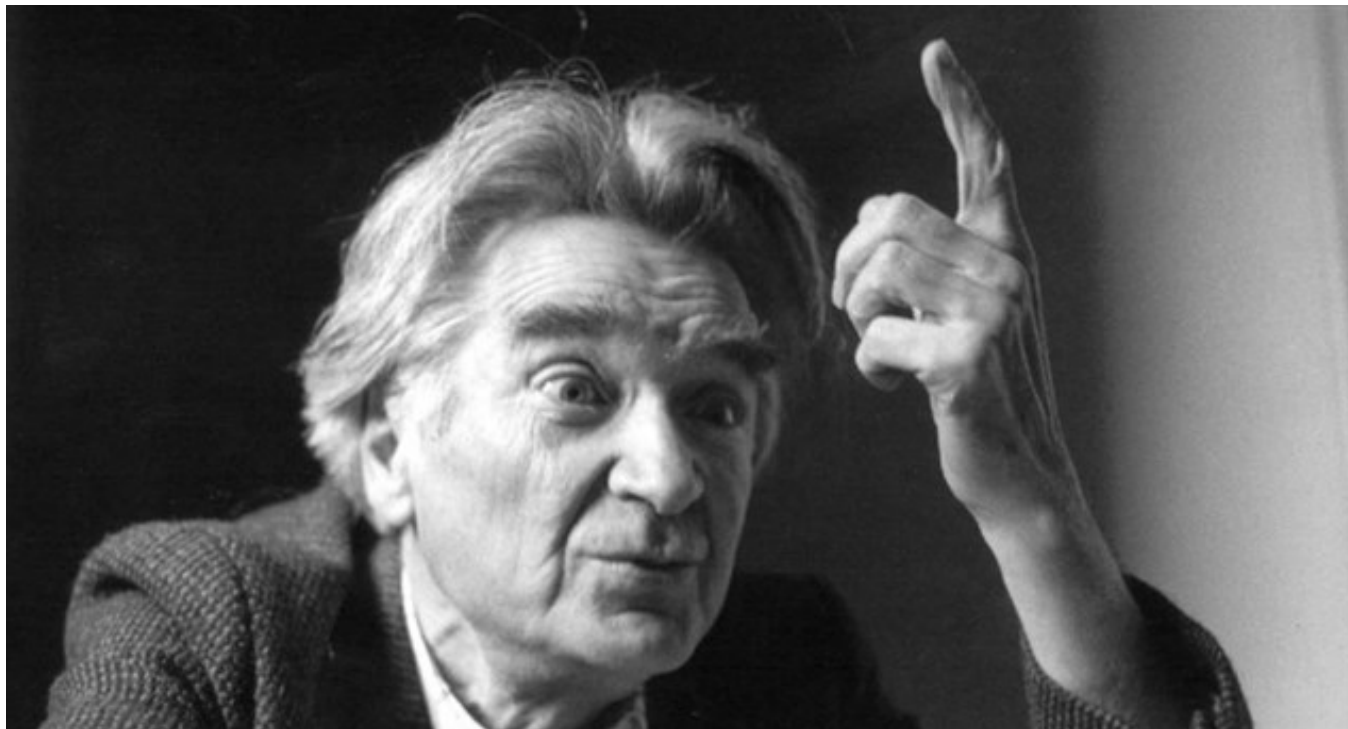
«السيد الذي نحن في انتظاره مرتاعين لن يكون تحديداً، إلا مولعاً بالعفونة، ولن يظهر جميعاً في حضرته إلا بمظهر الجيف، فليات ليشمنا، ولينمرغ في عطنا»، فالظلم الذي يسود العالم لم ينتج إلا عن قابلية له وسط البشر، فهم يحبون دور الضحية، ولو كف عن لعب دوره كضحية، لتبخر المجتمع البشري، ولتبخر التاريخ، فهذه هي طبيعة الأشياء في ثنائية عبد وسيد، ويتبع سيوران بأسلوبية ساخرة ولانعة، شرح هذه العلاقة.

يحمل النص الرابع من الكتاب عنوان «أوديسا الضغينة»، يعرض فيه سيوران تلك الأفكار الانتقامية الشريرة التي تسيطر على البشر الذين يقضون الشطر الأكبر من ليلهم سهاري يتخيلون أنهم يقطعون أو صال أعدائهم، ينتزعون أعينهم وأحشاءهم، هو يشير هنا إلى هذه النزعات الشريرة عند البشر، ويرجع ذلك إلى التسامح، فعدم الانتقام يعني أن يكبل البشر أنفسهم في فكرة العفو، بالتالي يصبحون مدسسين بالحق المدسوس المكسب فيهم، ويصبح العدو مصدر وسواسهم واضطرابهم، خاصة في حالة أن قرروا الكف عن كراهيته، إن الحاجة إلى الجريمة مطبوعة في دماغنا، وقد نجحنا في جعلها تفصح عن نفسها من خلال أفكارنا، ونرى هنا كيف أن هذا النص يضعنا مباشرة مع أعماق خبايا أنفسنا، هذه هي لعبة سيوران المفضلة، إذ يجعلنا في مواجهة شرور أنفسنا وسينات أعمالنا.

يتوقف الكتاب عند الحاجة لليوتوبيا في النص الخامس المعنون بـ«ميكانيزمات اليوتوبيا»، هذه الحاجة لا شك تستوجبها هذه البغضاء والتشاحن والتباغض بين بني البشر حد الموت، حقيقة المجتمع هذه تقود البعض إلى البحث في تصور مجتمع آخر مختلف مثالي، فكل مجتمع عاجز عن انجاب يوتوبيا وتكريس نفسه لها هو مجتمع يتهدهد التيبس والخراب.

يحمل لنا الكتاب فكرة التوق الإنساني للمستحيل في النص السادس والأخير من الكتاب، والذي يحمل عنوان «العصر الذهبي»، هو هذيان بمرحلة العصر الذهبي، يحرك البشر فيه الانهيار بالمستحيل، في ظل تمادي العصر الحديدي في التاريخ، هذا الهذيان الذي لا يد منه وإلا لتجمد البشر تماماً، فصورة العصر الذهبي لا تختلف في شيء عن جنة عدن، هو نقيض المعاناة والعذاب البشري.

متعة كبيرة يحتويها الكتاب، الذي حمل أسلوبية مفارقة تضع بين يديك النصوص الفلسفية الغامضة في قالب شعري نثري روائي، هو عمل أدبي يفكك الأشياء بعرضها ليحتسب الموقف عنها ولا يفتتح إلا من خلال مزيد من الاستكشاف، فسيوران هنا في «تاريخ ويوتوبيا»، لا يقدم موقفاً شخصياً يحمل الكثير من الادعاء، بل يعرض الأشياء في غموضها ويكشف عن المفارقات المحيطة بها.





”العبقري المجنون“ إميل سيوران.. قراءة في أهم أعماله

محمد علي اليوسفي

٢- قياسات المرارة

يختلف هذا الكتاب عن الكتاب السابق بتلاشي الغنائية المتمردة لصالح الصلابة الساخرة والحكمة المقطرة، فإذا الحكمة والفكاهة السوداء والمفارقة نتحالف مع النزعة الارتياحية من أجل قلب القيم السائدة.

٣- إغواء الوجود

العدمية تؤدي إلى الجمالية، ما من حل آخر غير الإقامة في وهم الوجود وهو الأمر الذي يعني بالنسبة للكاتب، تعويض خواء الكون برمز الخواء ذاته: أي الكلمة، اختبار سيوران ”محاسن المنفى“ هي يقيم في ”مدينة اللاشيء“ قطع الجذور ليصير ”غريب الميتافيزيقا“ مع تأملات ينطوي عليها الكتاب حول الشعر والرواية والكلمة. فيضع سيوران شقته في حقيقة الكلمة ”خلق الكلم“.

٤- بحث في الفكر الرجعي

يتناول سيوران في هذا الكتاب مختارات من نصوص الكاتب المتصوف جوزيف دي ميستر: ذلك ”الفكر المغالي“ الذي يفري ”بفصاحة الشراسة“. وهو صوفي ساخر، قاريء جيد للعهد القديم لكنه يمتاز

١- موجز التفكير

أول كتاب يؤلفه سيوران باللغة الفرنسية مباشرة، أسلوب فيه الكثير من المبالغة والكتابة الكلاسيكية ”الباروكية“. لم يبلغ فيه إيجاز الحكمة بعد. نبرة استفزازية، بداية إعلان عن موضوعاته الأثيرة: الشر، الخلاص، التاريخ، الانحطاط، القداسة، مصادر التدمير الذاتي. ويعتبر النقاد هذا الكتاب الخلية الأم لأعماله اللاحقة. بنبرته الرؤيوية التي تكاد تكون نيتشوية (نسبة إلى الفيلسوف نيتشه) والميتافيزيقيا السلبي التي تستند إلى أفضلية العدم حيث ”الكائن مجرد ادعاء باللاشيء“ وما النتيجة التي يتوصل إليها الرائي إلا ”رؤية تخطط فيها الحكمة بالمرارة و... بالمقلب!“.

أيضا بانتمائه إلى القرن الثامن عشر. وأهم ما فيه أنه موسوم، مثل سيوران، بـ ”ختم المنفى“ ويؤمن مثله بسقوط الإنسان لأن الشر يسكن أفعاله، غير أن سيوران يأخذ على جوزيف دي ميستر إيمانه ”بالخطيئة الأولى“.

٥- التاريخ واليوتوبيا

مثل كتاب ”إغواء الوجود“ يضم كتاب ”التاريخ واليوتوبيا“ مقالات مطولة غير أن سيوران يبدو هنا أقرب إلى المؤرخ منه إلى الفيلسوف، فيبحث عن الدوافع الخفية وراء مختلف الأنظمة السياسية بالطريقة ذاتها التي توخاها في دراسته عن جوزيف دي سيستر: أن الأيديولوجيات تختلق فراديس في الزمن، ويكون موقع تلك الفراديس إما في الماضي (النشأة) أو في المستقبل، وذلك حسب الرغبة في الدعوة إلى الحنين للماضي، أو إلى عبادة التقدم.

٦- السقوط في الزمن

هذا الكتاب يضم جوهر أفكار سيوران ورؤيته الميتافيزيقية. أهم كتبه ومفتاحها، تاريخ الوعي هو تاريخ محنته لقد نفى الإنسان من براءته الأولى وسقط

في التاريخ. هذا السقوط يقوده إلى رعب الصيرورة، أول درجة من درجات سقوطه وانحطاطه. لكنه مهذب بالسقوط من هذا الزمن أيضا بسبب الشك الذي يحول الزمن إلى ”أبدية جهنمية“ وإلى السأم. ”الجحيم هو المكان الذي نحكم فيه بالزمن إلى الأبد“ والارتياحية طرح بمثابة الصيغة الدنيوية للشيطاني. وحتى جعل المعرفة مطلقا آخر، إنما يعني عبادة اللامعني. ما من منفذ الإلهذا: تحويل هذا العدم إلى امتلاء والتخلص من الثنائية عبر التجربة الموحدة للخواء والمؤدية إلى عتبة البوذية والصوفية.

– الإنسان سجين الوقت. انفصل عن عاهة وعن ذاته. إنه يهرب نحو المستقبل محبوسا بسبب التسارع المدوخ للزمن. وهو ما يميز الحضارة.

– هذا الإنسان المحاصر والمستعبد من الزمن يستطيع السمو إلى عظمة مأساوية بفضل الشك، هذه المسافة النقدية التي يقيمها مع ذاته. لكن إذا كان هذا الشك ثاره فهو أيضا خسارته ”تبدأ الحضارة بالأسطورة وتنتهي بالشك“. – أن تكون إنسانا ليس حلا، وكذلك أن تكف عن أن تكون كذلك!

- بورخيس "الحضري المترحل" أو "الحضري بلا وطن".

١١- اعترافات ولعنات
متابعة للحكم المقطعية التي تأتي على شكل شذرات، وتتناول التيمات المعتادة: الخواء، الخيبة، انحطاط الكائن الخ.. وصولاً إلى الشيخوخة، ومحاسبة الذات. منذ العنوان: اعترافات، بمعنى التمرد والقبول. ومضات، لحظات فائلة. حكم قصيرة «أصبنا كنا بعدوى الأمل». عودة إلى تأمل الموسيقى. نوع من عودة الفكر إلى لحظات صفاء وسكينة. تسليم: ليس للحياة أي مبرر وجود، وهذا هو المبرر الوحيد، على أية حال».

١٢- دموع وقديسور
ترجم هذا الكتاب من الرومانية من كتابة الشباب، مع تشذيبها من الحمية الأولى. نوبات تفكيره "الشغف بالمطلق في روح مرتابة". الدموع تعكس آلام الحنين للمطلق، والمنفى الماورائي، والقديس أو المتصوف ينوس "بين هوى الوجد ورعب الخواء".

١٣- على نرى اليأس
هو أول كتاب وضعه بالرومانية وكان في الثانية والعشرين من العمر. وهو كتاب منبثق من عنف داخلي "لو لم أكتبه لانتحرت". غنائية وشكوى من الوجود. مديح النار. الشباب. إحالات إلى الطاقة الحيوية عند نيتشه. "استسلام المتصوف ينبجس من الخواء وليس من النار الباطنية" ويؤخذ الحكيم لأنه يتجاهل "مأسوية الهوى" فما من فكر خلاق حقاً يتخلى عن ذاتيته، ومن هنا صفة "المفكر العضوي" التي ينتسب إليها سيوران، أي المفكر الذي يحول حالاته إلى معرفة ويستخلص نظرياته من لحمه ودمه من تجربته الذاتية.

- بيكيت: جعل من حب الكلمات "سنده الوحيد".
- هنري ميشو: المهووس القادر على أن يكون نزيهاً. المتصوف المكبوت.
- ميرسيا إيباد: بعيد وغريب عن كل الديانات التي يدرسها، ومع ذلك فهو قادر على العطاء والخصب.
- سان جون بيرس: يتحدى العدم "من أولئك الشعراء الوسطاء في النزاع القائم بيننا وبين العالم". وهنا كتاب آخرون نستطيع تقريبه منهم:
- كايوا: المخفق في عالم التصوف.

عن كتاب آخرين. غير أن هواجسه الشخصية تبرز من خلال آرائه في الآخرين. وكما يدل عنوان الكتاب فهو "بورتريهات اعجاب". ويتحدث فيه سيوران عن مفهومه الخاص لأدب "الكتابة رذيلة" لكنها رذيلة خلاص، لأن التعبير يظهر وهذه ليست كلمته، فلنقل: لأن التعبير يؤدي إلى بعض الراحة. ومن آرائه في الآخرين نقتطف:
- جوزيف دي ميستر: أشد المفكرين شغفا وتعصبا. وحش فاتن!

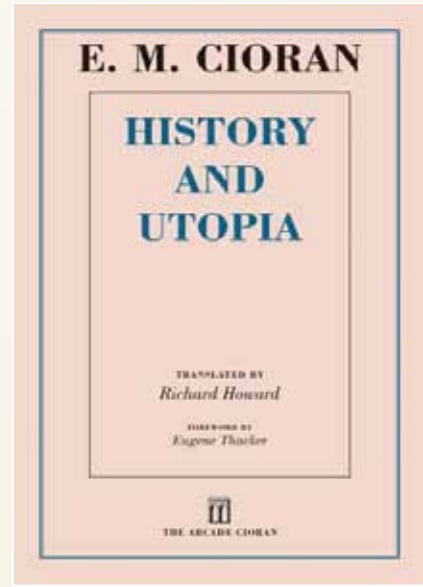
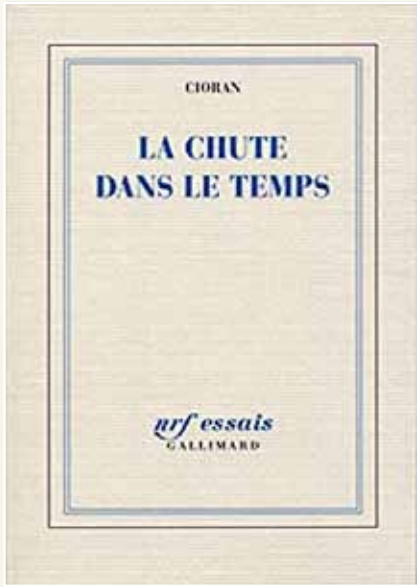
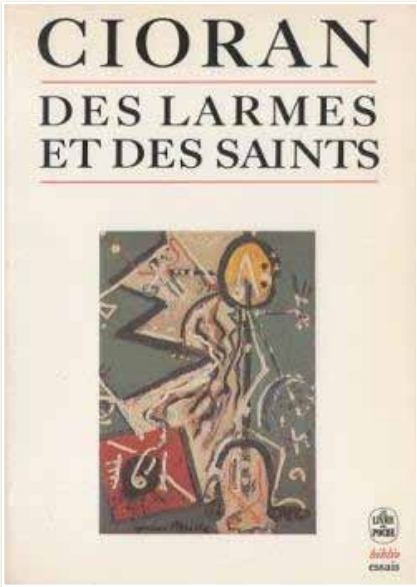
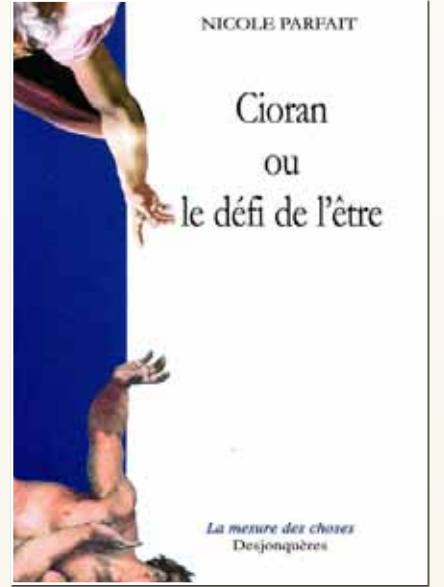
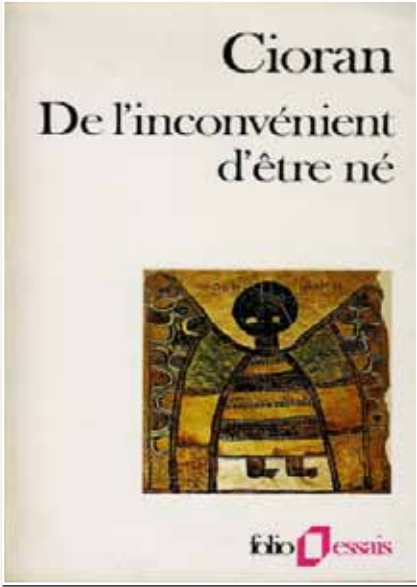
- من أجل كسب الحرية ينبغي «التمرن على أن تكون لاشيئا» وهي الطريق الوحيدة لبلوغ براءة ثانية. المرض يقظة تكسب الإنسان زيادة في الكينونة.

٧- الخلق السييء
مشكلة الشر هي جوهر هذا الكتاب. فيه يفصح سيوران عن مبادئ غنوصية عرفانية (نزعة فلسفية دينية تهدف إلى ادراك كنه الأسرار الربانية).
وجود مبدأ الشر في أصل النشأة.
- المسيحية في ضوء مبدأ الشر.
- البوذية ومفهوم الخواء.

٨- مساويء أن يكون المرء قد ولد
مجموعة من الحكم. الأصل: لماذا الرضا بالقليل أفضل من لاشيء؟ ويمكن تلخيص الكتاب هكذا «أه! لو ولدنا قبل الإنسان! «نوستالجيا، حنين إلى «زمن ما قبل الزمن» حتى نغادى كارثة الولادة. إذن فالشر خلفنا وليس أمامنا.
- التراجم الحقيقية للإنسان هي في استحالة العودة إلى زمن الماضي وبلوغ عدم ما قبل الوعي.

٩- التمزق
بعد التأمل في مفهوم التاريخ ضمن أعمال مسابقة، يتناول سيوران في هذا الكتاب ما بعد التاريخ. ويحاول تخيل إحدى النهايات المحتملة لحضارتنا، بالمرآة على الكارثة. «النهاية المحتومة للإنسانية» مقدر ومكتوبة في بداياتها "ذلك أن الجنس البشري بعد أن غادر برآته الأولى، يعنى في الانحطاط والعماء.

١٠- تمارين الاعجاب
هذا الكتاب يضم المقالات والمقدمات التي كتبها سيوران



إميل سيوران يسجل لقاءاته مع صامويل بيكيت

ترجمة: سارة أزهر الجوهر

لفهم هذا الرجل المتفوق على نفسه، يجب أن نركز على عبارة "تفكيك الذات"، الشعاع الضمني لكل لحظاته، وكل ما يندرج تحتها من عزلة وتحفظ وعناد لهذا الكائن الانطوائي الذي يسعى بلا هوادة في مثابرة لانهائية. في البوذية، يُقال عن الحدق الذي يسعى إلى التنوير إنه يجب أن يكون عنيداً مثل "فأر ينخر في تابوت"، فكل كاتب حقيقي يبذل جهداً مشابهاً، فهو المدمر الذي يُضيف إلى الوجود، ويُثري بتقويضه.

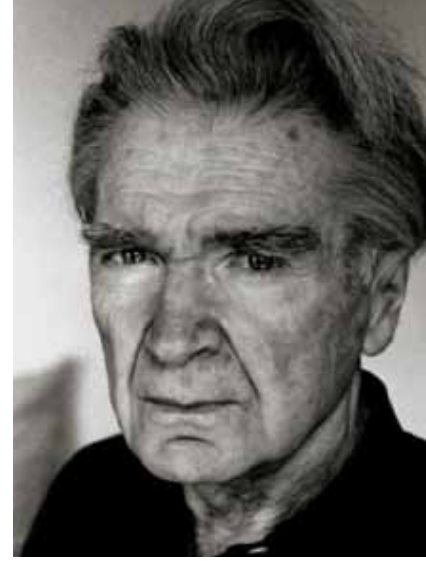
"إن ما نملكه من وقت على الأرض ليس مديداً بما يكفي لاستنزافه على أي شيء سوى ذواتنا؛ ملاحظة الشاعر هذه تنطبق على من يرفض اللاجوهري والعرضي والأخر، وعليه فأن بيكيت أو فنه الأدبي المتفرد يشدد على أن يكون المرء ذاته. زد على ذلك، ليس هناك أنفة ظاهرية أو سمة أساسية تسم وعيه الفريد من نوعه، فلو لم تكن كلمة "الكياسة" قد وجدت من قبل، لكانت اخترعت لأجله. بالكاد يمكن استيعابه على أنه مرعبٌ بكل تأكيد، لا يستخف بأحد ولا يدرك الوظيفة الصحية للضعيفة وفصلاتها المفيدة وميزتها التنفيذية. لم أسمعه يتحدث بسوء أبداً عن صديق أو عدو، وهو شكل من أشكال السمو الذي أشفق بسببه عليه، والذي عانى منه دون وعي. لو أنني حُرمت فضيلة الاحتقار، فأية مصاعب ومتاعب وتعبات كنت سأواجه؟ لم يكن يعيش في زمننا هذا بل في زمن موان، لهذا لم يخطر على بالي أبداً أن أسأله رأيه في بعض الأحداث، فهو احد تلك الكائنات التي تدفك إلى ادراك أن التاريخ مجرد بُعد كان يمكن للمرء ان يعيش من دونه.

لو أنه كان يشبه أبطله - بعبارة أخرى، لو لم يكن قد نال مقبولية الآخرين - لبقى ذات الشخص دون أن تتغير خصاله. يعطي انطباعاً عن أنه لا يرغب أبداً في فرض نفسه وأنه يستهجن فكرة النجاح كما فكرة الفشل. "يا للضعوبة التي تكمن في معرفة ما يجول في باله وأي أسلوب يتبع! هذا ما اقوله لنفسي في كل مرة أفكر فيه، ولو تحقّق المستحيل ولم يخف هذا الرجل أي سر داخله، لاستمررت في اعتباره حصناً يستحيل اختراقه."

لقد أتيت من ركن في أوروبا حيث فوراً الإساءة والكلام الفضاخ والشتم والمجاهرة الأتية بالمشاكل والخالية من أي حرج تعتبر من ضرورات ذلك المكان، فتعرف كل شيء عن الجميع حيث تصبح الحياة مشتركة وتموضعة على كرسي اعتراف معروض أمام الملاء، وحيث لا يمكن تخيل معنى السرية، أما الفصاحة فتقيم على حدود الهديان، هذا وحده كاف لتفسير افتتاني برجل كتوم بشكل خارق للطبيعة.

ليس بالضرورة أن لا تتضمن الكياسة الغضب، فعلى مادية عشاء مع الأصدقاء، بعد أن تضايق من أسئلة ساذجة سخيفة عن نفسه وعمله، لجأ إلى صمت تام وانتهى به الأمر فعلياً بإدارة ظهره لنا تقريباً. لم تكن قد فرغنا من العشاء بعد عندما نهض وغادرتنا صامتاً متجهماً كمن يوشك على الخضوع لاستجواب أو لعملية جراحية.

قبل حوالي خمس سنوات التقينا ببعضنا البعض في شارع غوينيم، وعندما سألتني إن كنت أعمل أجبته بأنني فقدت اشتهاً للعمل، وأني لا أرى حاجة لإظهار نفسي أو "الإنتاج"، وأن الكتابة عذاب بالنسبة لي... لقد بدا مندهشاً من كلامي، إلا أنني ذهت أكثر عندما تحدثت عن "البهجة" الاصحابية للكتابة تحديداً. هل استخدم هذه الكلمة بالفعل؟ نعم، أنا متأكد من ذلك. في نفس اللحظة، تذكرت أنه في لقائنا الأول قبل عشر سنوات، في مطعم



غلوزر دي لايبلا، كان قد اعترف بملله العظيم وإحساسه بأنه لم يتبق ما يمكن قوله بالكلمات. الكلمات؛ ومن ذا الذي أحبها بقدره؟ إن الكلمات رفقات دربه وسنده الوحيد، فهذا الرجل لا يعتمد على أي من اليقينيات، إلا أنك تشعر بثبات رأيه فيما يخص الكلمات. لا شك أن نوبات إعباطه تتزامن مع اللحظات التي يتوقف فيها عن الإيمان بالكلمات، حين يتصور أنها تخونه وتهرب منه، وحين تهجره يظل عاجزاً قابلاً في اللامكان. ندمت على عدم ملاحظتي وإدراجي لجميع الأماكن التي يشير فيها إلى الكلمات، حيث يميل نحوها ويشبهها بـ "قطرات صمت تسقط في الصمت"، كما في "اللامسمة"؛ وهكذا تحولت رموز الهشاشة إلى أسس غير قابلة للتدمير.

ترادف كلمة Sans الفرنسية كـ Lessness الإنجليزية، والتي تعني "بدون" أو "حالة القلة"، وهي كلمة صاغها بيكيت كما صاغ المرادف الألماني "Losigkeit". لقد سحرتني كلمة "lessness"، التي لا يمكن فهم الغموض الذي يكتنفها كما حال كلمة بوهمه "Ungrund" بمعنى "لا أساس له"، حتى أخبرته ذات مساء أنني إن انام إلا بعد أن اجد كلمة فرنسية ترادفها في المعنى... بدأنا معاً نتفحص كل الكلمات الممكنة التي ترادف "Sans" و "moindre"، إلا أن أياً منها لم يقترب من معنى هذا "lessness" أو "بدون" الذي لا ينضب؛ مزيج من التجريد واللامتناهي، خواء يرادف التآليه. إفتقرنا خائبين، وعندما وصلت إلى المنزل لم أفك عن التفكير بتلك الـ "Sans" البائسة. عندما اشرفت على الاستسلام، خطر في بالي ان افتش في جعبة اللغة اللاتينية، وفي اليوم التالي راسلته مخبراً إياه أن كلمة "sinéité" تبدو في رأيي الكلمة المناسبة التي كنا نبحث عنها، فأجابني أنه فكر بهذه الكلمة أيضاً، وربما في ذات اللحظة التي فكرت فيها. مع ذلك، كان لابد من الاعتراف بأن ما توصلنا إليه من كلمات لم يصبو ليرادف "lessness"، فاتفقنا على الكف عن البحث وأنه لا يوجد منوعوت في اللغة الفرنسية قادر على التعبير عن الغياب في حد ذاته وفي حالته النقية، وأنه يتعين علينا أن نستسلم للفرق الميتافيزيقي لحرف الجر.

عندما تجلس مع كتاب ليس لديهم ما يقولونه ويفتقرون إلى عالم خاص بهم، ما الذي تستطيع الحديث عنه غير الادب؟ إلا أن هذا لم يحصل معه إلا نادراً، ويمكنني القول إنه لم يحصل أبداً. فالموضوعات اليومية كالصعوبات المادية والمشاكل بأنواعها تثير اهتمامه أكثر عند الحكى، وما لا يطيقه في أي حال من الاحوال هو أسئلة مثل "هل تعتقد أن صيت الأعمال الفلانية سيذوم؟ هل يستحق فلان المكانة التي احتلها؟ إذا ما قارنا بين فلان وفلانة فكفة من ستكون أقل؟ ومن الأعظم بينهما؟ دائماً ما يثبطه هذا النوع من التقييمات ويثير حنقه. قال لي بعد أمسية مزعجة حيث كان الحديث حول مائدة العشاء أشبه بنسخة بشعة من لوحة الحساب الأخير "أين



المعنى في كل هذا؟". هو نفسه يتجنب التعليق حول كتبه ومسرحياته، فما يهيمه حقاً لا يكمن في العواثق التي تجاوزها، بل في العواثق التي سيتجاوزها؛ فهو يعرف نفسه كلياً بما يفعله. إن سألته عن إحدى مسرحياته فلن يناقش المحتوى ولا المعنى، بل سيناقش التاويل الذي يتصور أنق تفاصيله دقيقة بعد أخرى، وثانية تلو الأخرى. لن أنسى الحيوية التي شرح بها المتطلبات التي كان ينشدها في أي ممثلة تقدمت لتأدية تمثيلية "لست أنا"، حيث يهيم صوت لاهت لا غير على الفضاء، وكم أشرقت عيناه عندما وجد ذلك الصوت الناعم لكنه صارح وكلي الوجود، كان الأمر بالنسبة له كمن يشهد التحول النهائي أو انهيار بيتيا العظيم.

لطالما كنت من هواة المقابر، كذلك كان بيكيت (فقصة بيكيت القصيرة "الحب الأول" تبدأ بوصف مقبرة، تلك التي تقع في هامبورغ). تحدثت إليه في الشتاء الماضي في أفينو لوبزرقوار، حول زيارتي لمقبرة بير لاشيز مؤخراً آنذاك، وعن ما أحسست به من استياء لأنني لم أجد بروست في لائحة "الاعيان" المدفونين هناك، (يجب ان أقول بشكل عابر أن المرة الأولى التي صادفت فيها اسم بيكيت كانت منذ حوالي ثلاثين عاماً، عندما وجدت كتابه الصغير عن بروست في المكتبة الأمريكية). لا أعرف كيف انتهى بنا الامر الى ذكر اسم سويقت، إلا أنني عندما أفكر بالموضوع لا أرى أي شيء غريب في هذا الانتقال بالمواضيع، خاصة إذا أخذت بنظر الاعتبار الطابع الجنائزي لحس فكاهته. أخبرني بيكيت بأنه يعيد قراءة كتاب "رحلات غوليفر" وأن لديه ولع بـ "دولة هويهننمس" وخصوصاً الجزء الذي يتحدث عن مشاعر الرعب والاشمئزاز التي راودت غوليفر عندما اقترب من أنثى الياهو. قال لي، وتلك كانت مفاجأة كبيرة، بل خيبة أمل كبيرة، بأن جويس لم يحب سويقت. علاوة على ذلك، أضاف أن جويس يفتقر إلى نزعة الهجاء، على عكس ما قد يعتقد المرء. "لم يثر أبداً، كان متجرداً، راضياً بكل شيء، فبالنسبة له، لم يكن هناك فرق بين سقوط قنبلة وسقوط ورقة شجرة.."

لقد كان حكماً رائعاً يذكرني في حدته وكثافته برد أماند روبن على سؤال طرحته عليه ذات مرة مفاده "بعد كل ما ترجمت من قصائد، لم تم تترجم قصائد تشوانغ تسي الذي ستجد في جعبته شعرا أكثر من الآخرين؟" فأجابني "لقد فكرت في هذا ملياً، لكن كيف تترجم أعمالاً لا يمكن مقارنتها إلا بالريف الإجدب لشمال اسكتلندا؟" مذ عرفت بيكيت، كم من مرة تسألت (كمن يستجوب نفسه بهوس وحماقة) عن علاقته بشخصياته، ما المشتركات التي تربطهم؟ من يمكنه ان يفهم هذا القدر من التفاوت الجوهري؟ أحق أن وجود هذه الشخصيات غارق مع وجوده في ذلك "الضوء الرمادي" الموصوف في "مالون يموت"؟ تبدو لي أكثر صفحاته كنوع من المونولوج الذي يلي نهاية حقبة كونية... إحساس بالدخول إلى عالم ما بعد الموت لتجد طبيعة جغرافية لحلم شيطان ما تنبعث من كل شيء، حتى من كلمات لعنته.

كائنات لا تعرف إذا ما كانت حية ام لا، خاضعة لتقل ارهاق هائل، ارهاق ليس من هذا العالم (وتلك لغة تناقض ذاتقة بيكيت اللفظية) محمولة في خيال رجل نظنه هشاً، بدأ منذ زمن غير بعيد يرتدي قناع القوة مراعاةً منه للباقة. لقد شاهدت رؤياً مفاجئة وضحت لي كل الصلات التي تربط هذه الكائنات بمؤلفها وشريكها في الجريمة، وما رأيته، او الاجدر قولاً ما شعرت به لا يمكن ترجمته الى تراكيب لفظية مفهومة، ومع هذا، فمنذ ذلك الحين مجرد ذكر احد ابطله يذكرني بنغمات صوت معين... رغم هذا أسرع بالقول إن البوح بشيء ما يمكن ان يكون هشاً وقابلاً للنقض كما النظريات. منذ لقائنا الاول، أدركت أنه قد بلغ الحد الأقصى وأنه ربما قد بدأ رحلته هناك عند ذلك الحد، في المستحيل والاستثنائي، او ربما من الطريق المغلق. والمثير للإعجاب أنه لم يتزحزح من مكانه قيد أنملة، فقد بدأ مسيرته مجابهاً جداراً أصم إلا أنه ثابر بشجاعة كما عاداته، فاتخذ الحد الأقصى نقطة انطلاق، والنهاية بوصفها بداية؛ وهذا ما يفسر الشعور بأن عالمه، الذي لطالما ترنح على حافة الموت، قد يستمر إلى ما لانهاية، أما عالمنا فسيتلاشى قريباً.

لست منجذباً بشكل خاص إلى فلسفة فيتجنشتاين، ولكن لدي شغف بالرجل نفسه، فكل ما قرأته عنه ترك أثره عليّ. لقد وجدت أنه وبيكيت يتشاركان أكثر من ميزة، شبحان غامضان وظاهرتان يسعد المرء ان يصفهما بالعجيبتين والمبهمتين، فهما يضعان نفس المسافة بينهما وبين الموجودات والأشياء، يتمتعان بنفس العناد والتصلب، نفس الإغراء إلى الركون في الصمت والتوصل النهائي من الكلمات، ونفس رغبة التصادم مع الحدود، وهو ما لا يمكن توقعه منهما، ففي عصور أخرى، كانت الصحراء المقفرة لتغري كليهما على العيش فيها. نعرف الآن أن فيتجنشتاين تخيل نفسه يعيش في دير من مرحلة من مراحل حياته. أما بالنسبة لبيكيت لو كان يعيش قبل عدة قرون، فكما يسهل تخيله جالساً في حجرة خاوية لا تعكر صفو مزاجه أي زخرفة، ولا حتى صليب صغير على الجدار. أتراني أستطرد؟ فقط تذكروا تلك النظرة القاصية الغامضة الـ "لا-إنسانية" التي تعلق ملامحه في صور معينة.

من البديهي أن بداياتنا مهمة، إلا أننا نشرع في الخطوات الحاسمة تجاه أنفسنا فقط عندما نضع أصولنا، عندما لا يكون لدينا سيرة ذاتية نقدمها عن أنفسنا، تماماً مثل الإله. كون بيكيت إيرلندياً مهم وغير مهم بنفس الوقت، لكن الخطأ تبني وجهة النظر الفرنسية بأنه "أنجلوسكسوني تقليدي"، فهذا يزججه كثيراً. هل يعود السبب إلى ذكرياته السيئة عن اقامته في لندن قبل الحرب؟ أعتقد أن السبب هو اعتباره البريطانيين مبتذلين، وهذا الرأي لم يفصح عنه بيكيت، وها أنا الآن اعلنه نجابة عنه وعن تحفظه، ان لم يكن امتعاضه. يمكن ان اتبنى هذا الرأي، خصوصاً لأن بريطانيا في رأيي (وهذا يمكن ان يكون وهماً بلقانياً) أكثر أمة واهنة ومهدة، وبالتالي فإن شعبها الأكثر تهديباً وتحضراً.

بيكيت الذي يشعر بالراحة في فرنسا كأنها وطنه، ليس لديه في الحقيقة أي قدر من البرود، وهي خصلة فرنسية متأصلة، او على الأقل يمكن تسميتها خصلة باريسية. ليس مبهرًا كيف حول كتابات تشامفورت الى شعر؟ ليس كل الكتابات بالطبع بل بضع اقوال مأثورة، إن هذا المشروع، وهو مذهل بحد ذاته وبالكاد يمكن تصوره (إذا ما فكرنا بانعدام الدافع الغنائي الذي يميز الهيكل النثري للأخلاقين)، بمثابة بوح، فلطالما تخون العقول الدفينة عمق طبيعتها، وعقل بيكيت مشبع بالشعر حتى اصبح فصله عنه مستحيلًا.

أجد عنيدياً كأي متعصب، فحتى لو انهار العالم كله، لم يكن ليتخلى عما يؤلفه من عمل، ولم يكن ليغير موضوعه ايضاً. لا يتأثر أبداً فيما يخص الأشياء الجوهرية، اما الأشياء الأخرى، غير الجوهرية، فيقف امامها اعزلاً وضعيفاً مثلنا، أضعف حتى من شخصياته. قبل جمع هذه الملاحظات كنت انوي ان اعيد قراءة ما كتبه ميستر إكهرت وينتشنه، من وجهة نظرهما الخاصة، عن مفهوم "الرجل النبيل". لم أنفذ مشروعِي، إلا أنني لم أنس للحظة واحدة فهمي لماهية مشروع "الرجل النبيل" أثناء عملي على هذه الملاحظات.

إميل سيوران.. حياكة الجليد

مقداد مسعود



لقامت الموسيقى مقام الفلسفة (ص/١٤٦).. وهو يطوف على دراجته الهوائية في أخضرار الندى الفرنسي تمنى ان يكون موسيقيا لأسباب لغوية.. (من الأفضل ان يكون المرء مؤلف أو يريت على ان يكون صاحب ستة كتب في لغة لايفهما احد/ص١٤).

وهل هناك عطر يتفوق على باريس الحضارة والحب؟.. ألم يتفرنس الروسي نابا كوف وكذلك يونسكو والآن معلوف الروائي اللبناني الذي كل رواياته مكتوبة بالفرنسية.. وقبله تفرنس أميل سيوران.. وحسب سيوران.. (بمعاشرة الفرنسيين نتعلم كيف تكون تعساء، بلطف/ص٨٥).

(×)

بمعاشرة اللغة الفرنسية والسكن في نبض حريها الاهيف اصبحت نصوص سيوران (حدثنا داخل الحدث).. علينا ان لانسأل لماذا سيوران يكتب بالفأس او الساطور!!.. علينا ان نتعقب آثار ذلك الذي حوّل سيوران الى شظية لن تبرد ابدا لا.. لم اعن ان سيوران قاتل من خلال الكلمات وان اداة الجريمة عنده أما الفأس.. أو الساطور.. أردت القول ان سيوران يكتب بجسده كله.. لكنها ليست كتابة جنسية.. ان يحاول تعويض الروح باغتصاب كوني لامثيل له..

(×)

دخل الى الفلسفة من رحاب الادب فأكتشف شكسبير من خلال ماكبث.. وأصبح ما كتب مر اياه كلها.. ثم اكتشف ان ماكبث مسروق من سيوران!! لكن رغم هذه السرقة فهو كان يجالس شكسبير حتى في المقاهي!! «إذن حتى نفهم سيوران ونكون في تماس مع انشداته وانسداته يشترط التماس علينا ان تكون نسبة دمننا تحتوي على مس من الجنون مزوجا بالهيموغلوبين، فهو يعرفنا من انهما منا المعرفي.. (لايهتم بي إلا من كان به بعض من مس).. وهناك من يتساءل في هذا الصدد: هل كل كتابات سيوران فعالية دائمة في انتاجية الخطأ يصحبها الاعتذار عن الخطأ ذاته؟! ..

سيوران من سيوران؟ أي درس في المعرفة يمنحنا هذا المجنون الناصع الصاهل في ظلمات برية القرن الحادي والعشرين؟..

× سيوران من خلال شذراته
× أن تكون إنسانا حديثا هو أن تبحث عن عقار لما أفسده الدهر
× الشاعر ماكر يستطيع أن يتلوى من البرد إلى حد المتعة.

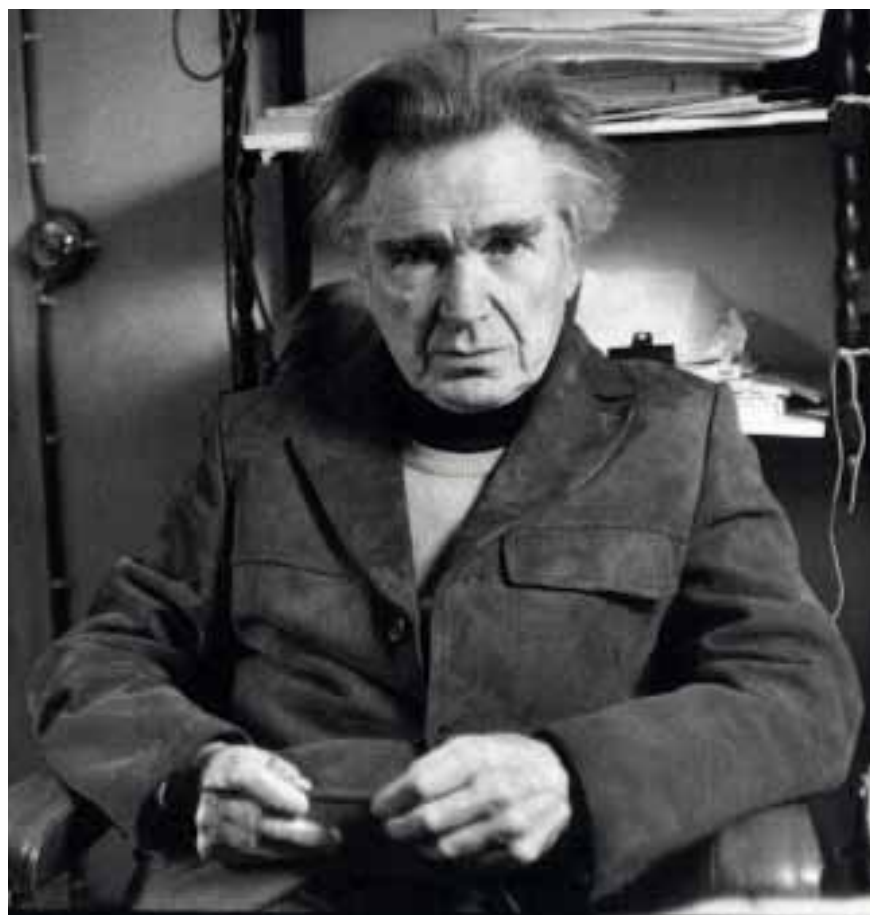
× لا مفر لكل مفكر في بداية حياته المهنية، من الاختيار بين الجدل والنواح.
× الحزن شهية لا تشبعها أي مصيبة
× هل وصلت حياتك الى نتيجة؟ إذن لن تعرف أبدا الكبرياء

× لاشيء يثير زهونا مثل عقدة الموت: العقدة وليس الموت
× لا يستطيع أحد أن يحرس عزلته إذا لم يعرف كيف يكون بغیضا

(×)

تابع لترجمات كتب سيوران.. ان هذا المفكر فاضل في الاتكيت ولا يملك تقنيات الخجل المصنع برجوازيا.. هل قلت انه لا يستطيع؟! في زمن اصيح ورقة التين نكرى مخجلة للأغلبية، وأصبحت هذه الأغلبية تقبلي في تقنيات العري وتمأسس له فقها افتراضيا؟! في هذا الجو المفرغ من الهواء يكون (الغبي وحده مجهز للتنفس) بشهادة سيوران.. وبشهادته الناصعة يعلن... (أنكب الشروق على الزهور والزهده وهانحن نعارضه بالالات والجهد وبتلك الكأبة المهرولة - آخر انتفاضات الغرب).

ولا يكتفي سيوران بذلك (نحن نعرف الآن أن الحضارة قابلة للموت وأنا نهول نحو الاختناق، نحو معجزات الأسوء، نحو العهد الذهبي للرب).. دائما أعبط سيوران على هذه الشذرة الفاتكة، هذه الشذرة العذراء (وحده الأرغن يبين لنا كيف تستطيع الابدية أن تتطور).. لا أقول كم نسبة الشعر هنا.. بل اتساءل اي شاعر كبير في هذا الفيلسوف المجنون؟ فهو يرى ان الموسيقى والفلسفة توأمان.. ثم يضيف (لولا أمبرياليتها كمفهوم



أرى سيوران وريفا شعريا لفلسفة نيتشة.. يغرس ريشته في محبرة نيتشة، ليرسم قلبه هو لا قلب نيتشة فهو يفكر بتوقيت نبضات قلبه هو.. أعني ثمة مختلف بين نيتشة وسيوران، مختلف بكثافة فاصلة.. وإذا كان نيتشة يهزأ بسقراط.. فإن سيوران يرى سداجة نيتشة كلها في مقولته (مابعد الخير والشر) والسداجة النيتشوية، لم تر ان (الإنسان لم يتهيا بعد لمرحلة مابعد المانوية لما تتطلبه من وعي وإدراك يكاد ان يخرج ان الإنسان من التاريخ ذاته/ص١٠/ تاريخ ويوتوبيا).. ولا يخلو سيوران من كونفوشيسية، في قوله.. (هذا العالم لا يستحق أن نعرفه/ص٥٥) يقول كونفوشيوس (حمدا لله انني لست خالق هذا العالم.. ان منظر هذا العالم وحده يفرزني).. وإذا كان نيتشة يصرخ في أول سطر (هكذا تكلم زرادشت).. (كتاب للجميع ولغير أحد) فإن سيوران يعلن ان الكتب التي تستحق التأليف، تشترط مؤلفين لا يفكرون بقرءاء.. وسبب هذا الأستراط.. هو تحرير المؤلف من أحلام القراء.. حتى لا يخسر نفسه وحريته في الحلم والكتابة خارج انظمة السلوك الجمعي..

(×)

كتابة سيوران هي محاولة في اللاكتابة.. وهنا يقفز الى ذهني النكري في قوله.. (ألا تكتب وأنت تكتب).. وكلاهما يطالب بكتابة جامحة ضد النسق المؤيد من قبل الجمهور..

(×)

من يقرأ سيوران... لا يبال كرسيا هزازا ولا وسادة ناعمة تجلب النوم المحلوم بأقواس قرح.. كل ما يحصل القارئ عليه حزمة تساؤلات سيحاول التوصل معها اما بأجابات مبتورة او أجوبة متسالة بدورها تقودنا للبحث عن الهوية أو للتجاوز مع الغرب كحضارة لا كاستعمار.. (لماذا ننسحب ونغادر اللعبة، مادام في وسعنا أن نخيب ظن المزيد من الكائنات).

(×)

سيوران يشعرون سروده الفلسفية ويمسقتها وهكذا دون قصد من سوداويته.. يضح فيها الكثير الكثير من اشراقات البهجة.. سيوران يلتقط الجوهر ويصوغه شذرات ويغرس الشذرات مصوغات ذهبية، هل رأى في أجناسية الشذرات حريته اللسانية؟ أم حريته في الاختيار الحريص على الاقتصاد الاسلوبي.. وهو في كتاباته يبشر بالفراغ ويمهد الطريق للعدم.. ثمة راهب وجزار يتحاربان داخل كل رغبة/١٤٠/ لا يرتعش من الموت.. ولكنه يمقت الانتحار.. سيوران.. هل ميز بين (الانتحار المراهق من الانتحار الحقيقي) فالمنتحر الاول يستنجد في حين أنتحار الثاني تقرير حسب ريجيس دوبرية..

(×)

سيوران... الذي يرفض الجمهور.. صار له جمهورا في كل مكان.. من خلال خمسة عشر كتابا نشرها.. وإذا كان يمقت الظهور كفتاة الاعلان.. أو كمشاهير السينما فإنه كان معرقيا ذوبيا في حضوره الانتاجي للفلسفة..

(×)

هكذا كان سيوران كما أراد هو في البدء سعيدا جدا لأنه مقروء من قلة القلة ويطبعات محدودة لمؤلفاته.. وإذا كان سارتر قد رفض نوبل لأسباب سياسية، وصنع ابراهيم رفض جائزة الدولة التقديرية في مصر.. ورفضها في كلمة القاها.. فإن سيوران أصيب بأحباط نفسي كبير في ١٩٨٨ حين أعلن انه سينال جائزة نوبل موران، فأعلن هو بدوره عن رفضه لهذه الجائزة.. لأن اي جائزة تحط من منزلة الكاتب وتعمل على تدميته وتطويقه بالمعجبين والمعجبات، وهذه افضل طريقة لتدمير المشروع المعرفي للكاتب اي كاتب..

هذا كان رأي سيوران دائما.. أي زهد لدى سيوران؟ وأي حرص على الكتابة؟ كم يخاف سيوران على

manarat

WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

عززي ربيع

مكي

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الايخراج الفني
علي كاطع

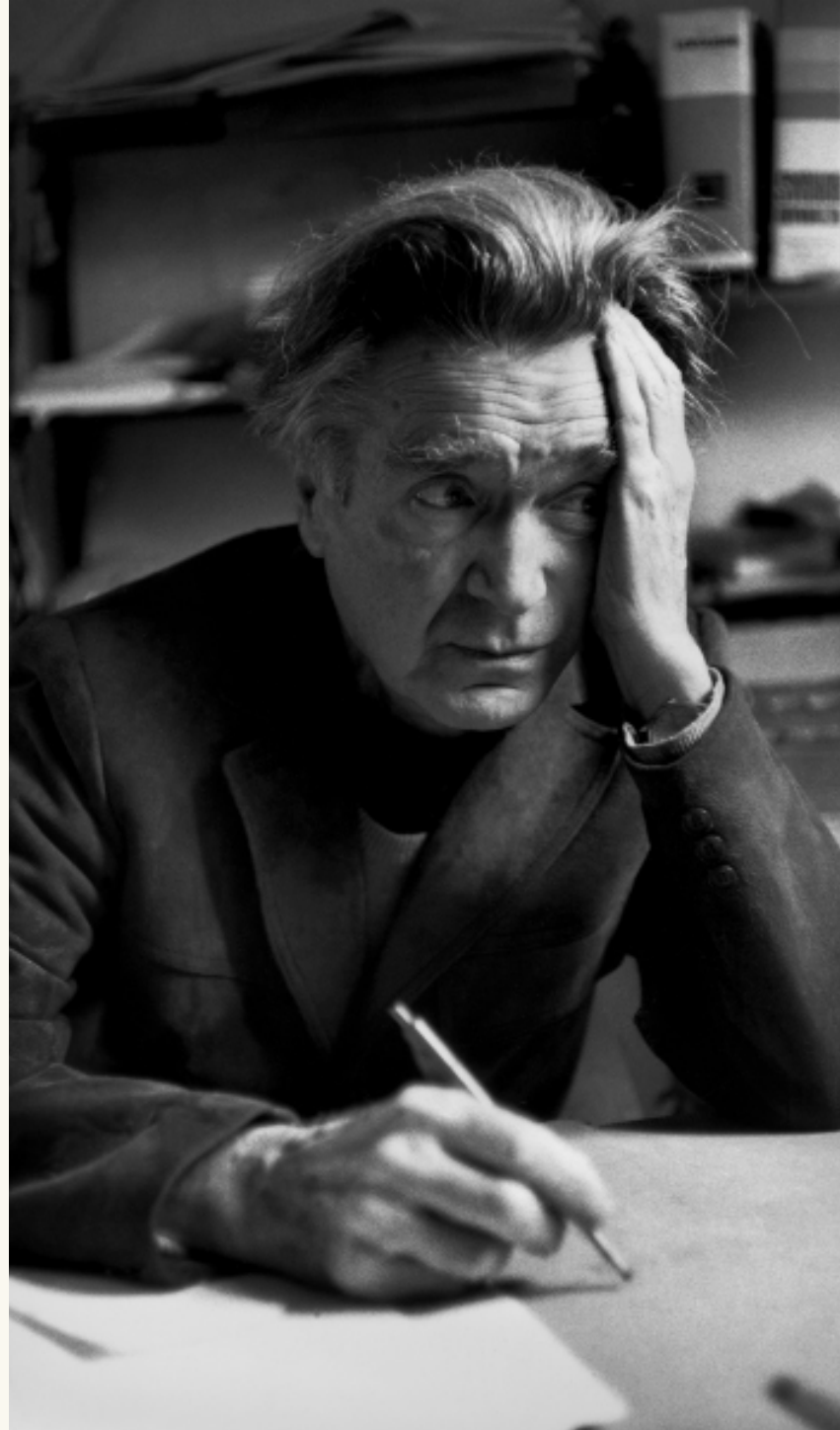
منارات

طبعت بمطابع مؤسسة (مكي) للاعلام
والثقافة والفنون

سيوران.. فيلسوف الغضب



لم تكد تشرق شمس الثامن من أبريل (نيسان) من عام ١٩١١ إلا وصوت غراب مشؤوم كان نعيقه أوضح من زقزقة العصافير، لتلد الأم المتمردة الشاكة بالدين والوجود ثمرة حب وزواج من كاهن أرثوذكسي محافظ.. كانت الثمرة الفيلسوف الروماني إميل سيوران، وذلك في قرية رازيناري، إحدى قرى ترانسيلفانيا الرومانية، والتي كانت حينها تحت هيمنة نمساوية مجرية، كان الصراع بين النموذجين، الأم والأب، العصفورة والغراب، واضحا في فلسفته إلى أن توفي في ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٩٥ بباريس. رضع سيوران من أعتى الفلسفات تشاؤما. وأسس للمعنى والغضب كما يشرح حميد زنار في كتيب وضعه عنه بعنوان: «المعنى والغضب.. مدخل إلى فلسفة سيوران».



فهد الشقيران

من أشهر كتبه: «مقاييسات المرارة» الذي ترجم إلى العربية بعنوان مأخوذ عن شذرة له هي: «المياه كلها بلون الغرق»، كما ألف كتابه ذائع الصيت: «تاريخ ويتوبيا». تأثر بالكتابة الشذرية النيتشوية، كما جنحت فلسفته إلى الغضب والمساءلة والاحتجاج والتساؤل، لم يكن يمتلك أي أجوبة بقدر ما هو حارث في أرض الوجود على طريقة الفلاحين، والصعاليك الحائرين، وإذا غضب ارتعد وكتب شذرات هي على مستوى من القراءة المساوية الحائرة في النظرة للوجود. استعمل النظرة الشرقية للخلاص والاستسلام لهذا العالم مع الاحتجاج عليه، والإضراب ضد العيش فيه أو الاستمتاع به، وهو بهذا إنما يعيد نظرة شبنهور لكن بصيغة شعرية أكثر منها صيغة فلسفية، ذلك أن شبنهور أقوى تشبيها للصرح الفلسفي خاصة، من شذرات سيوران التي هي مزيج من الشعر والفلسفة.

لم يكن سيوران جادا في تناوله للموضوع الفلسفي، ذلك أنه يعد الوجود كله مثيرا للسخرية والشفقة، فهو القائل: «إذا أمكن للإيمان أو السياسة أو الحيوانية النيل من اليأس، لا شيء ينال من الكآبة، لا يمكن أن تتوقف إلا مع آخر قطرة من دمنا». وفي كتابه: «تاريخ ويتوبيا» يكتب ضمن فصل: «في صنفين من المجتمعات.. رسالة إلى صديق بعيد»: «أنا إنن متعلق بأرباع أفكار، وبأصغاط أحلام، وقد وقعت على الفكر خطأ، أو بسبب هستيريا لا علاقة لها ألينة بالحرص على الدقة، أبدو لنفسي دخيلا على المتحدنين، مثل ساكن كهوف شغوف بكل ما هو لاغ، منغمس في صلوات هدامة، فريسة هلع لا ينبثق عن رؤية للعالم، بقدر ما يعود إلى تشننج اللحم، وظلمات الدم، لقد بت في صمم تام عن نداءات الأنوار، وعن العدوى اللاتينية، حتى أنني أشعر بأسيا تتلمل في شراييني».

لم تكن رؤية سيوران الفلسفية إلا «أسيانية» تبث المساوية في العالم بوصفها أصلا، وأن أنشطة الناس اليومية ليست إلا هربا من غلطة وجودهم، وأن الوجود مثل عدم الوجود كله خلل. من هنا تكون «أسيانيات» الفلاسفة الكبار أمثال شبنهور أو حتى هيدغر الذي مهد لفوكو بإعلان «موت الإنسان» كان أكثر عقلانية وتنظيرا في مشروع «أسيانيتها» كما لم يكن مضربا عن الوجود، بل عاش الحياة بتفاصيلها، ووضع لعلاقاته

جدوى، وبأي مردود». يعد قوله وفلسفته هي عيشه، ولم يكن يحب تقليب الكلمات، بل أتى نهياً الحرف أطلقه من دون ترتيب أو تشذيب، وهذا ما يلحظه القارئ أكثر في: «المياه كلها بلون الغرق»، ذلك أن الأسلوب كان محتشدا ضمن تكثيف العبارة، أكثر مما هو عليه في «تاريخ ويتوبيا».

لم يكن السطح العميق مغريا لسيوران الذي يصب جام غضبه على مناهج هيغل وروسو، بل يعد الرديء الجيد، والتفاهة العامة هي الملاذ والملجأ، يكتب: «الشعوب التي لا تحتفل بالتفاهات والطيش، والأمور التقريبية، الشعوب التي لا تعيش مبالغتها الكلامية، هي كارثة بالنسبة إلى نفسها، وبالنسبة إلى الشعوب الأخرى، إنها تحط بثقلها على لا شيء، وتتعامل بجد مع ما هو ثانوي، وبتراجيديا مع ما لا أهمية له، وأن تتشغل إضافة إلى ذلك بحماس فياض للوفاء، وبقرف كرية من الخيانة، فهذا يجعلنا نفتقد منها كل رجاء، باستثناء الرجاء في انهيارها التام.. لو احتل نابليون ألمانيا بجيش من مرسلينا لتغير وجه العالم».

يربط التوازن السياسي بتسييد الأشخاص عديمي الكفاءة، حيث رأى أنه «لا يمكن أن يوجد توازن سياسي، من دون أشخاص عديمي الكفاءة من النوع الجيد. من الذي يتسبب في الكوارث؟ إنهم المسكونون بداء الحركة العنينيون، المصابون بالأرق، الفنانون الفاشلون الذين حملوا التيجان أو السيوف والأزياء العسكرية، وأكثر منهم جميعا المتفائلون، أولئك الذين يقترقون الأمل على حساب الآخرين».

بقي سيوران من طينة الشعراء والفلاسفة الكبار، أولئك الذين نحبه في قلوبنا، لكن عقولنا تأبى الإضراب عن الحياة أو الاحتجاج المستديم أو الكآبة التامة، غير أن وجود شيء من الأسي على ما يحيط بهذا المحيط من كوارث إنما هو من صميم رقابة الفيلسوف على تصرفات البشر، ذلك أنه مراقب بمشارطه لسوءات الأحداث والتصرفات، ولمستجدات العاهات، وإلا لكان العالم مجرد طاولة طعام ضخمة تصعد فيها أصوات التجشؤ.

وأختم هذه الشخصية بمقولة له: «في عالم لا كآبة فيه لن يكون أمام العنادل غير التجشؤ». (العنادل: جمع عنديب، وهو طائر صغير الجثة، سريع الحركة، كثير الألحان، يسكن البساتين، ويظهر في أيام الربيع).

عن الشرق الأوسط

كالشرر، ويوزع بندقية قوله مرتجفا مثل رام مبتدئ، وإذا قرأناه وجدنا نصه الأتي: «الكتب الوحيدة التي تستحق أن تكتب، هي تلك التي يؤلفها أصحابها من دون أن يفكروا في القراء، ومن دون أن يفكروا بأي

العاطفية مسارا نخبويا بعيدا عن خيارات الجموع، أو «الهم» كما يعبر هيدغر أيضا.

سيوران يعد نفسه «فيلسوف عواء» ولا يعتني بالقارئ بوصفه شريكا له في معنى النص، بل يبدد معانيه